خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٢٥ ربيع الآخر ١٤٣٩ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن الله ربنا العليم السميع البصير، الرحيم الرحمن الودود اللطيف الخبير، القوي العزيز القهار القدير، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان:٥٩]، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٢٠﴾ [المائدة:١٢٠]، خلق الناس، ثم يميتهم، ثم يحييهم، ثم إليه يُرجَعون، في يومٍ تذهل فيه كل مرضعة عمّا أرضعت، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج:٢]، فمنهم من يفوز بالجنة، ومنهم من يُكَردس في السعير.

إن ربنا سبحانه -يا عباد الله- قد عرّف عباده به في سورة عظيمة جامعة مانعة، في سورة قليلة الحروف والمباني، عظيمة المنافع والمعاني: في سورة الإخلاص، التي فيها صفة ربنا ﷻ، وتُخلِّص صاحبها من الشرك، سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، التي مَن حفظها، وفهم معانيها، واعتقد ما فيها، وأحبها، أحبه الله ﷻ، وكان موعوداً بدخول الجنة.

فقد ثبت أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ بهم في الصلاة، ويختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، فلما رجعوا إلى المدينة أخبروا النبي ﷺ بذلك، فقال النبي ﷺ: «سَلُوه لِمَ يصنع ذلك؟» فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحبها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه».

وثبت أن رجلاً من الأنصار كان يؤمّ قومه في مسجد قباء، فكان إذا فرغ من قراءة الفاتحة قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] حتى يختمها، ثم يقرأ سورة أخرى، فقال له قومه: إنك تقرأ هذه السورة، فلا ترى أنها تُجزيك، حتى تقرأ بسورةٍ أخرى! فإما أن تقرأ بها، وإما أن تقرأ بسورةٍ غيرها، فقال -رضي الله عنه وأرضاه-: ما أنا بتاركها، فإن أحببتم أؤمّكم، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرونه أفضلهم، وكرهوا أن يؤمّهم غيره، فلما جاءهم النبي ﷺ -وكان نبينا ﷺ يأتي قباء كل سبت ماشياً أو راكباً- فلما جاءهم ﷺ أخبروه بذلك، فقال النبي ﷺ: «يا فلان، ما يمنعك مما يأمرك به قومك؟ وما يحملك على أن تقرأ بهذه السورة في كل ركعة؟» فقال: يا رسول الله، إني أحبها، فقال النبي ﷺ: «حُبّك لها أدخلك الجنة» -حُبّك لها أدخلك الجنة-!

هذه السورة القصيرة العيظمة إذا قرأها المؤمن فإنه يحصِّل ثلث علم القرآن، وذلك أن علم القرآن على ثلاثة أجزاء:

- فجزء هو علم بالله عزّ، وبتوحيد الله عزّ.
- وجزء هو علم بالأحكام.
- وجزء هو علم بالأخبار والقصص، والوعد والوعيد.

وهذه السورة فيها الجزء الأول، ففيها مجمل العلم بالله عزّ، وبتوحيد الله عزّ.

ولذا كان النبي ﷺ يُقسم على أمر عظيم -ولا يقسم النبي ﷺ إلا على أمر عظيم-، فكان ﷺ يقول عن هذه السورة: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».

وقال النبي ﷺ يوماً لأصحابه: «احشُدوا، فإني قارئ عليكم ثلث القرآن»، أي اجتمعوا في المسجد، فحَشد من حَشد، فخرج عليهم النبي ﷺ، فقرأ عليهم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] حتى ختمها، ثم دخل بيته ﷺ، فظن الصحابة أن الوحي قد قطع عليه قراءته، وأنه سيخرج ليُكمل قراءة

ثلث القرآن، فخرج ﷺ، فقال: «إني قلت لكم: إني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن».

هذه السورة العظيمة القصيرة -يا عباد الله- إذا قرأها المؤمن فإنه يفوز بثواب قراءة ثلث القرآن، قال النبي ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، فإنها تعدل ثلث القرآن».

وقال النبي ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فشقّ ذلك عليهم، وقالوا: أيّنا يُطيق ذلك يا رسول الله؟ وفي رواية قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فقال ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] تعدل ثلث القرآن».

قال العلماء: فإن قرأها المؤمن ثلاث مرات فاز بثواب قراءة القرآن كله، وكلما زاد كان ذلك خيراً له، سواءً زاد في قراءتها، أو في قراءة سُوَرٍ أخرى معها، فإنه لا تُغني آية عن آية في كتاب الله ﷻ، لا في العلم ولا في الثواب، ولكنّ فضل الله على أمة محمد ﷺ عظيم.

أفيعجز أحدكم -يا عباد الله- أن يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] في ليلة مرةً، أو مرتين، أو ثلاثاً، فيفوز بالثواب العظيم؟ فإن قرأها مرةً فاز بثواب قراءة ثلث القرآن، فإن قرأها مرتين فاز بثواب قراءة ثلثي القرآن، فإن قرأها ثلاث مرات فاز بثواب قراءة القرآن كله.

فإن قرأها عشر مرات جمع مع ثواب قراءة القرآن ثلاث مرات وثلث: أن يكون له بيت في الجنة، فمن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] حتى يختمها عشر مرات بنى الله ﷻ له بيتاً في الجنة.

فعلى المؤمن أن يحفظ هذه السورة، وأن يفهم معانيها، وأن يعتقد ما فيها اعتقاداً جازماً.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]: قل -يا محمد- قولاً جازماً، عارفاً بمعناه، معتقداً لما فيه، والخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته جميعاً، فأنت -يا عبد الله- مأمور بهذا الأمر.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]: ﴿هُوَ﴾ للتعريف بالله ﷻ، ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾، الله هو المألوه المستحق للعبادة ﷻ، فلا معبود حقٌّ إلا الله ﷻ، ولا معبود بحقٍّ إلا الله ﷻ، فلا يستحق العبادة -صغيرها أو كبيرها- إلا الله ﷻ، ولو أن المخلوقات جميعاً قد اجتمعت في مخلوق واحد لما استحق أن تُصرف له ذَرّة واحدة من العبادة أبداً.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]: فهو الأحد سبحانه، هو الأحد في أفعاله، ذو الكمال في أفعاله، وفي أسمائه وصفاته، وهو المستحق للعبادة، المُفرَد بالعبادة الحقة.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص:١-٢]: فله الكمال المطلق سبحانه، له الكمال في ذاته، فلا جوف له ﷻ، وله الكمال في غناه، فله الغنى المطلق، وجميع خلقه مفتقرون إليه افتقاراً مطلقاً، وهو السيد الكامل في سؤدده، والعباد محتاجون إليه، فلا حول ولا قوة لأحد إلا بالله ﷻ، وله الكمال في أفعاله ﷻ.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص:٣]: مِن كماله وكمال غناه ﷻ لم يلد، فلم يكن له ولد -يا عباد الله-، وكذب النصارى إذ قالوا: عيسى ابن الله! وكذب اليهود إذ قالوا: عزيرٌ ابن الله! وكذب المشركون إذ قالوا: الملائكة بنات الله! لم يلد سبحانه و لم يولد، فهو الغني ذو الكمال المطلق.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٤]: فليس له مِثلٌ، وليس له مُساوٍ، وليس له شَريكٌ ﷻ.

- ففي هذه السورة -يا عبد الله- توحيد الألوهية، في قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ [الإخلاص:١]، فلا يستحق العبادة إلا الله.
- وفيها توحيد الربوبية، في قول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص:٢]، فالله ﷻ هو الغني المطلق، والعباد مفتقرون إليه.
- وفيها توحيد الأسماء والصفات، وأن تُثبَت الأسماء لله ﷻ، وتُثبت الصفات لله ﷻ، بمعانيها، على ما يليق بجلال الله ﷻ، فلا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، فإن الله ﷻ ليس له كفواً أبداً.

ألا فاتقوا الله عباد الله، وتدبروا كلام الله، واحفظوا هذه السورة -واحفظوا هذه السورة-، واعتقدوا ما فيها من المعاني اعتقاداً جازماً، لعلكم تفلحون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إن ربكم الكريم قد فتح لكم أبواب الجنة، ووسّع لكم طرقها، وجعل لكم في سُوَر قصيرة علوماً كبيرة، وأجوراً كثيرة، فكما أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] تعدل ثلث القرآن، فإن ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١] تعدل ربع القرآن، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ.

وثبت عنه ﷺ أنه قال: من قرأ: «﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١]، فإنها تعدل ربع القرآن».

فـ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١] تعدل للمؤمن ربع القرآن في العلم، فإن القرآن على أربعة أنحاء في العلم:

- فجزء يتعلق بشهادة أن لا إله إلا الله.
- وجزء يتعلق بشهادة أن محمداً رسول الله.
- وجزء يتعلق بالدنيا والمطلوب فيها من العبد.
- وجزء يتعلق بالآخرة وما يكون فيها.

وهذه السورة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١]، تتعلق بالجزء الأول، ففيها الإخلاص لله ﷻ، والبراءة من الشرك كله، وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

وهذه السورة -يا عباد الله- تعدل للمؤمن في الثواب ثواب ربع القرآن، فمن قرأها أُثيب ثواب قراءة ربع القرآن، فإن قرأها أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله في الثواب، فإن زاد كان ذلك خيراً له.

فالله أكبر يا عباد الله! ما أكرم ربنا ﷻ! ما أكرم الله! فتح لنا طُرقاً عظيمة موصلة إلى الجنة، فوالله لا يهلك على الله إلا هالك!

فاحمدوا الله -عباد الله- أن جعلكم مؤمنين، وتمسكوا بالقرآن العظيم، اقرأوه، ولا تملّوا من قراءته أبداً، واجعلوا لخير الكلام خير أوقاتكم، فإن القرآن كلام الله، وهو خير الكلام، فاجعلوا له خير أوقاتكم، وأكرموا أنفسكم بكثرة قراءة القرآن، فإن من قرأ حرفاً من القرآن كان له بذلك حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء.

ومن عجز عن قراءة القرآن كله فقد فتح الله له باباً، فليُكثر من قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، ومن قراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١]، لينال الثواب العظيم.

ألا فاتقوا الله عباد الله، وأكرموا أنفسكم بالإقبال على الله ﷻ، واجتهدوا في الأعمال الصالحات، فإن الدنيا كلها قليل، والباقي منها قليل، والذي لأحدنا من قليلها قليل، وقد مضى الكثير منه، والله أعلم متى ينتهي قليلنا، ومتى تُنزَع أرواحنا، ومتى نُدخَل في قبورنا، ألا فلنجتهد -يا عباد الله- فإن يُسرَ ما بعد الموت مبني على العمل في الدنيا بفضل الله ﷻ.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن مِن أزكى أقوالكم وأشرفها أن تُصلُّوا وتُسلِّموا على نبيكم ﷺ، فإن ربكم ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلى عليّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه عشر صلوات، وحطّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات».

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليماً كثيراً، وارزقنا الصدق في حبه يا رب العالمين.

وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارزقنا السير على منهجهم يا رب العالمين، وارزقنا السير على منهجهم يا رب العالمين، وارزقنا السير على منهجهم يا رب العالمين.

اللهمّ إنا ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم، فاغفر لنا من عندك مغفرة وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهمّ إنا نعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة المحيا، وفتنة المسيح الدجال.

اللهمّ إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل.

اللهمّ إنك أعلم بأحوالنا، اللهمّ إنك أعلم بأحوالنا، فمن علمته منا مُطيعاً اللهمّ فزده خيراً، اللهمّ فزده خيراً، اللهمّ فزده خيراً، وتقبّل منه يا رب العالمين، ومن علمته منا مُقيماً على معصية اللهمّ فكرّهه فيها، اللهمّ فكرّهه فيها، اللهمّ فكرّهه فيها.

اللهمّ قرِّبنا إلى ما يُرضيك، اللهمّ قرِّبنا إلى ما يُرضيك، اللهمّ قرِّبنا إلى ما يُرضيك.

اللهمّ ارضَ عنا وأرضنا، اللهمّ ارضَ عنا وأرضنا، اللهمّ ارضَ عنا وأرضنا.

اللهمّ اغفر لنا، ولوالدينا، ولأهلينا، ولجيراننا، ولأحبابنا، يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، أن تجمعنا وأهلنا ومن نحب في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً يا رب العالمين.

اللهمّ اجعل حياتنا طيبة، اللهمّ اجعل حياتنا طيبة، اللهمّ اجعل حياتنا طيبة.

اللهمّ وفِّق ولي أمرنا لما تحب وترضى يا رب العالمين، اللهمّ قرِّبه من الخير والأخيار، وأبعده عن الشر والأشرار يا رب العالمين، اللهمّ اجعله رحمةً على البلاد وأهلها، وإخوانهم المقيمين فيها، يا رب العالمين، اللهمّ دُلَّه على الخير يا رب العالمين، وارزقه الثبات عليه يا رب العالمين، اللهمّ قوِّه وانصره على أعدائه يا رب العالمين، اللهمّ وفِّقه ليجمع كلمة المسلمين على التوحيد والتقوى يا رب العالمين، اللهمّ وفِّق ولاة أمر المسلمين للعمل بما يُرضيك يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.